الخطبة الثالثة والأربعون

الفتنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله لا نحصي ثناءً عليه كما أثنى على نفسه، وله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والحمد لله الذي هدانا لحمده، ونسأله سبحانه أن يرزقنا الإخلاص والإيمان حتى نلقاه، وأن يتقبل منا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فصلاة الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 10/ 85]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: 60/ 5]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: 25/ 20]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: 85/ 10].

الآية (5) من الممتحنة، قال الطبري في تفسيرها: أي: ربنا لا تسلط علينا الكفار فيروا أنهم على حق وأننا على باطل، لأن الناس تظن أن القوة بجانب الحق، وبما أن الكفار ملكوا القوة أي أنهم على حق، وهذا يمنع الناس من اتباع الدين الحق، ويبقوا على باطلهم وهذه هي الفتنة، وقال مجاهد في الآية نفسها: قال: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك، فيقولوا (أي: الكفار): لو كان هؤلاء المؤمنين على حق ما أصابهم هذا.

وقال قتادة: لا تُظهِر الكفار علينا فيفتتنوا بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لأنهم على حق. ولذلك أتبع الله سبحانه القول: (وَاغْفِرْ لَنَا) أي: استر علينا ذنوبنا بعفوك لنا عنها يا ربنا، ولا تُنْزل علينا عقاباً نتيجة ذنوبنا، ولكن الكفار لا يعرفون أن العقاب نتيجة الذنوب، وإنما يفسرون العقاب بأننا ولأننا على باطل فأنزل الله علينا العقاب، وأنهم على حق لأن الله لم يُنزّل عليهم عقاباً فيكون هذا فتنة لهم، والفتنة لها عدة تطبيقات فهي:

1 – اضطراب الحال وفساده، 2 – ضلال وانحراف عن الحق، 3 – شبهات تدخل على الإنسان تدفعه لفعل الحرام أو مخالفة القانون أو تُزيِّنْ له الخطأ، 4 – الفتنة قد تُرِي صاحبها الحق باطلاً والباطل حقاً، 5 – وقد تكون الفتنة هي تجاوز الحد، فمثلاً الغني يفتتن بغناه، ويعتبر نفسه أذكى أو أحكم من غيره، لذلك جمع هذا المال، وينسى فضل الله عليه، وينسى بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

والقوي صاحب السلطة قد يُفْتتن بمركزه، فيظلم ويبطش وينسى أن الله تعالى هو الذي أعطاه وسخّر له ذلك المنصب، وأن الله قادر على أن يسلبه ذلك، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: 28/ 78].

6 – وقد تكون الفتنة من الشيطان، قال تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الحج: 22/53]، فتن الشيطان تؤثر في نوعين من الناس: أصحاب القلوب المريضة، وأصحاب القلوب القاسية، فهؤلاء يستجيبون لفتنة الشيطان.

7 – وقد تكون الفتنة في الشهوات، فيركض الرجل وراء شهوات الدنيا وهي عديدة، فيهدم بيت الزوجية ويضيّع الأولاد، ويكون قدوة فاسدة لأولاده ومن يلوذ به، أو قد يأكل المال الحرام ويأكل حقوق الناس، أو قد يلحق بالموبقات والحرام من المشروبات والممنوعات والمخدرات.

8 - لذلك علمنا رسول الله ﷺ أن نستعيذ بالله من كل الفتن، فقال ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأعوذ بك من فتنة الدجال» رواه مسلم، وقال ابن عباس رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ في دبر كل صلاة من هذه الأربع» رواه أبو داود.

9 - ولما قال الله سبحانه: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: 2/ 191]، فإن فتنة المؤمن في دينه وارتداده بعد إسلام وإيمان فيصبح كافراً والعياذ بالله؛ أكبر عند الله من القتل، من يُدخل الشبهات في عقول الناس حتى يرتدوا بعلم أو بغير علم، من يحرم ما أحل الله تعالى وهو يعلم؛ يكفر، من ينكر آية أو حكم من أحكام الله تعالى أجمعت عليه الأمة وهو يعلم؛ يكفر... كل هذا أكبر جرماً وأعظم من القتل والعياذ بالله.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «ما ظهر منها وما بطن» فيه من المعجزات ما الله سبحانه أعلم به، لأن الفاتن قد يأتي بحيل يعجز عن فهمها وأسلوبها المفتون، وقد تكون هناك أساليب لا يقدر على ردها المفتون، إما لضعفه، أو لجهله، أو لقلة دينه، أو لفقره أو... والله أعلم، وقد قال الله تعالى أيضاً: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: 2/ 191]، فبهذا الفتن أشد وأكبر من القتل.

قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني وتتوب علي، وإن أردت بعبادك فتنة فاقبضي إليك غير مفتون» الترمذي - صحيح - من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنه سيصيب أمتي داء الأمم، قالوا: يا نبي الله، وما داء الأمم؟ قال: الأشر، والبطر، والتكاثر، والتناجش (والتنافس) في الدنيا، والتباغض، والتحاسد، حتى يكون البغي، ثم يكون الهرج» الحاكم - السلسلة الصحيحة (2/ 296).

قال الإمام المناوي في شرحه على الجامع الصغير: (الأشر): كفر النعمة، و(البَطَر): الطغيان عند النعمة، وشدة المرح والفرح، و(التكاثر): الجمع من الأموال

وغيره، (التناجش): التزايد في قيمة الأشياء إغراءً من غير نيّة في الشراء، المزايدة، و(التباغض): العداوات والحقد، و(التحاسد): تمني زوال نعمة الغير، حتى يكون البغي أي: الظلم ومجاوزة الحد، والاعتداء على الحقوق والأعراض والحرمات والممتلكات، ثم الهرج أي: القتل، فيقتل الناس بعضهم بعضاً انتقاماً أو اعتداءً أو تشفياً وكراهةً.

10 – كل ما ذكره رسول الله ﷺ في هذا الحديث هو من الفتن أعاذنا الله تعالى منها، وما لنا إلا الالتجاء إلى الله تعالى، وطلب السلامة منه، والتحصن بالأذكار والأدعية، ومعاشرة الصالحين، ولزوم الجماعات، والالتزام بالقرآن والسنة، والبعد عن الفواحش، والبعد عن أماكن السوء وأهل السوء، ومما يدفع الفتن: العلم الشرعي، وملازمة العلماء الذين أجمعت الأمة على فضلهم وسلامة علمهم.

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتَحَوُّلِ عافيتك وفُجَاءَةِ نقمتك وجميع سخطك» مسلم – د – ن، وعن عائشة رضي الله عنها: قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل» مسلم – د – ن – هـ.

قال ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ونفس لا تشبع، ومن الجوع فإنه بئس الضجيع، ومن الخيانة فإنها بئست البطانة، ومن الكسل والجبن والبخل، ومن الهرم، وأن أرد إلى أرذل العمر، ومن فتنة المحيا والممات، اللهم إنا نسألك قلوباً أواهة مخبتة منيبة في سبيلك، اللهم نسألك عزائم مغفرتك، ومنجيات أمرك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة، والنجاة من النار» ك عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «اللهم إني أسألك من الخير كله، عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله، عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه عبدك ونبيك،

اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيراً» هـ عن عائشة رضي الله عنها.

وقال ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر وفتنة الدجال، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها» حم- م - ن.

وقال ﷺ: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطئي وعمدي وهزلي وجدي وكل ذلك عندي، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير» ق عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء، ومن ليلة السوء، ومن ساعة السوء، ومن صاحب السوء، في دار المُقامة» طب - الديلمي - صحيح الجامع (1299)، (يوم السوء): يوم يكون فيه الشر والمصائب ونزول البلاء، (ليلة السوء): ليلة المصائب والشر، (ساعة السوء): تخصيص بعد تخصيص، استعاذ من اليوم والليلة والساعة، (صاحب السوء): الذي يجر عليك الويلات ويدعوك إلى الشر والضلال، (جار السوء): الجار صاحب الشر والظلم والاعتداء، (في دار المُقامة): قد يكون الخادم في البيت، أو الزوجة الظالمة النكدة، أوالزوج النكد الشرير الآثم الفاحش، أو الصديق الملازم لك.

وقال عليه الصلاة والسلام: «اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يُسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع» ت - د - ن - صحيح الجامع (1297)، (قلب لا يخشع): لذكرك ولا لموعظتك، ولا تؤثر فيه النصيحة، و(دعاء لا يسمع): قد لا يُسْمَعْ لأن فيه حراماً أو إثماً أو قطيعة رحم،

أو لأنه لا يُراد به وجه الله تعالى، أو أنه دعاء لا يُسْمع لأن صاحبه يأكل الحرام، ويلبس الحرام، ويفعل الحرام، كما قال عليه الصلاة والسلام من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟!» رواه مسلم، (ومن نفس لا تشبع): نفس غير قنوعة، لا تشبع، تركض وراء الدنيا، ولا ترضى بما قسم الله لها، وقد تكون النفس ممن همُّه الدنيا. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جعل الهموم همـًا واحداً -هم آخرته-، كفاه الله همّ الدنيا، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا؛ لم يبال الله في أي أوديتها هلك» ابن ماجه - صحيح، (ومن علم لا ينفع): علم لا يقصد به وجه الله تعالى. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علمـًا مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عَرضـًا من الدنيا، لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة» صحيح - حم - د - جه، (عَرْفَ الجنة) أي: ريحها. (ومن علم لا ينفع): علم لا ينهاه عن فحشاء ولا منكر، ولا يردعه عن الحرام، ولا عن ظلم الناس، علم لم يُورِثْهُ تقوى ولا ورع.

11 - وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو في صلاته فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمَغْرَم»، فقال قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المَغْرَم؟ فقال ﷺ: «إن الرجل إذا غَرِمَ حَدّث فكذب، ووعد فأخلف» البخاري (832) - مسلم (589)، (فتنة المحيا): شبهات أو شهوات، وفتن الحياة: من مصائب وبلايا وجور الناس والحكام، فهذا يمكن أن يدعوه إلى معصية أو بدعة أو كفر والعياذ بالله، (فتنة الممات): ما يتعرض له المسلم عند النزع والاحتضار، لذلك قال من حديث معاذ بن جبل: «من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة» صحيح - د - ك، أو أن تكون فتنة القبر وسؤال الملكين، فعن

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تفتنون في القبور» البخاري (184) - مسلم (905)، فالمؤمن التقي يسري عليه قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: 14/ 27]، فهذا يلهمه الله تعالى حجته وينطق بالشهادة، (وأعوذ بك من المأثم والمَغْرَم) المأثم: هو الذي يسبب الإثم الذي يجر إلى العقوبة والذل وتشويه السمعة وانحطاط المنزلة بين الناس، (المَغْرَم): الدَّينُ الذي لا يستطيع الإنسان سداده وقضاءه والوفاء به، وقيل: التعوذ من الدَّين كله سواء كان قادراً على سداده أو لا. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بِعَرَضٍ من الدنيا» رواه مسلم.

12 - والفتنة هي امتحان وابتلاء، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: 8/ 25]، الفتنة هنا: هي العقوبة والجزاء على الأعمال وقد تكون ابتلاءات ومصائب ومحن، نسأل الله السلامة.

13 - وأخطر فتنة هي الفتنة في الدين، فيكفر الإنسان أو يرتد نتيجة شبهة دخلت على قلبه، فضلَّ وزلَّ بها وأدت به إلى الردّة أو الكفر والعياذ بالله.

14 - والفتنة في الأموال: بأن يجنيها من الحرام أو يصرفها في الحرام، أو لا يخرج زكاتها، أو أنه لا يعرف حق الله فيها، وحق الناس، وحق الأهل والولد.

15 - والفتنة في الأولاد: فلا يعلمهم الحرام والحلال، ولا يأخذ على أيديهم إذا فعلوا فاحشة، وقد يدفعه حبه لهم بأن يرتكب الحرام ويأتي بالمال الحرام ليسعدهم ويقضي ملذاتهم وشهواتهم، قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: 8/ 28]، وقد يكون الأولاد مرضى أو بهم عاهة والعياذ بالله فهذال يجعل الأب يعترض على قدر الله، ويتسخط ويتلفظ بما لا يليق بحق ربه والعياذ بالله.

16 – قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 21/ 35]، لذلك الغنى والفقر، الجمال والقبح، الضعف والقوة، القدرة والعجز، كلها امتحانات من الله سبحانه وتعالى والصحة والمرض من أكثر الامتحانات والابتلاءات، لذلك عن صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سَرَّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضَرَّاء صبر فكان خيراً له» مسلم (2999).

17 – وردت كلمة الفتنة في القرآن الكريم في ثلاثين موضعاً، وتنوعت معانيها على حسب موقعها في القرآن الكريم:

1 – فتنة من الله تعالى بمعنى الامتحان، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 29/ 2 – 3]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: 67/ 2]، فالامتحان من الله سبحانه هو سنة كونية يختبرك الله بها وهو أعلم بها ولكن ليقيم الحجة عليك، لتبرهن على نفسك بأنك أهلٌ للجنة إن شاء الله، أو أنك أهلٌ للنار والعياذ بالله.

2 – فتنة من الشيطان، لأن مهمته إغواءنا وإضلالنا وهذا وعده وعهده مع الله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 17/ 62]، وقد مرّ معنا آية الحج (53) وهي أن فتنة الشيطان تعمل مع الذين في قلوبهم مرض، كمرض الشك والريبة، ومرض عدم التصديق، مرض الشبهات، والقاسية قلوبهم، القلوب التي لا تستجيب للحق ولا للنصيحة ولا للعقل ولا للمنطق، قلب قاسٍ عنيد لا يحب الحق ولا ينصاع له، ولا يريده، هذين النوعين من الناس الذين يستجيبون لفتنة الشيطان.

3 – فتنة الشهوات وحب الدنيا وهذه يندرج تحتها كثير من الفتن، كالأولاد والأموال

والمناصب والجاه والأنانية والنساء، قال تعالى: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: 9/ 49].

4 - فتنة الجزاء وهي عقاب من الله سبحانه وتعالى نتيجة جحودهم وإصرارهم على كفرهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: 5/ 41]، الفتنة هنا: هي العقاب والعذاب؛ لأن ذلك ما يستحقونه عن تكذيبهم للرسل ولشرع الله وأمره، فهؤلاء حقَّ عليهم العذاب والعياذ بالله.

5 - فتنة البدع والضلالات، وهي تهديد من الله سبحانه وتعالى، وتحذير منه سبحانه بعدم مخالفة النبي عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 24/ 63]، وجاء رجل إلى الإمام أحمد فقال: أريد عمرة فمن أين أُحرم؟ قال: من الميقات المحدد لمنطقتك، قال: أريد أن أُحْرم من وقت خروجي من بلدي، قال: لا تفعل وأَحْرِم من الميقات، فقال الرجل: وأي شيء فيها؟ قال الإمام أحمد: أخشى عليك الفتنة، فاستغرب الرجل من جواب الإمام، فلما رأى الإمام ما به من الاستغراب قرأ عليه آية النور، وقال: أخشى عليك الفتنة إذا خالفت سنته، وقال أبو بكر رضي الله عنه: «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ» عن عائشة رضي الله عنه - مسلم (1759).

6 - الفتنة في موالاة الكفار، وفي محبتهم والثقة فيهم. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: 8/ 73]، يقرر الله تعالى في هذه الآية أموراً منها: 1 - الكافرون بعضهم أولياء بعض، الكافر ينصر ويساند ويحالف الكافر مثله، 2 - وإذا والى المؤمنون الكافرين فإنه يحصل من هذه الموالاة فتنة وفساد كبير، 3 - وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: إن توالوا المؤمنين وتعادوا الكافرين، إذا لم تتحالفوا مع بعضكم البعض فهذا سيؤدي إلى فتنة، والفتنة هنا شر وخسارة، لأن الفتنة اقترنت ورُبِطَتْ وجُمعت بالفساد الكبير، فلا بد أن يكون

المقصود منها شر، لذلك قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: 3/ 28]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 3/ 118]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: 4/ 139].

7 - وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله -عز وجل- إني مبتليك ومبتل بك» مسلم، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: 25/ 20]، اختبرنا بعضكم ببعض، وامتحناكم فيما بينكم، لنعلم من يطيع ومن لا يطيع، ومن يُسَلّم لأمر الله تعالى ومن لا يُسَلّم ويعترض ويتذمر، فمنهم الغني، ومنهم الفقير، ومنهم الأعمى ومنهم البصير، ومنهم الصحيح ومنهم السقيم، يعطي سبحانه من يشاء ما يشاء، ويمسك ما يشاء عمن يشاء ليرى الشاكر والصابر، والراضي والمُتَسَخِّطْ، ويرى الراضي والمستسلم لقدر الله، ويرى المعترض والشاكي والمتبرم والساخط، وكان ربك بصيراً بأحوال عباده، وقد ابْتُلِيَ رسول الله ﷺ بأمور كثيرة، تكذيب قومه له، ومحاولة قتله، وإيذائه في نفسه وأهله وأخذ ماله، ومحاربته، والطعن في شرفه، وتكذيبه، وفعلوا كل ما يستطيعون، لذلك أثنى عليه الله سبحانه وتعالى وجعله سيد ولد آدم صلوات ربي عليه، وجعله صاحب الشفاعة العظمى، والمقام المحمود صلى الله عليه وسلم، وكان حجة على قومه والناس أجمعين، وهذا معنى مبتلٍ بك، فمنهم المؤمن ومنهم الكافر.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً، فأي قلب أُشْرِبها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تعود القلوب على قلبين: قلب أسود مُرباداً

كالكوز مُجَخِّيًا، لا يعرف معروف ولا ينكر منكراً، إلا ما أُشرب من هواه، وقلب أبيض مثل الصفا، لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض» مسلم (144).

(كعرض الحصير عوداً عوداً) أي: فتنة وراء فتنة، نساء، مال، حظ نفس، شبهة، شهوة، فتنة تلو الفتنة، فإذا قبل القلب هذه الفتنة وأُشْرِبها؛ أي: أن الشهوة أو الشبهة تمكنت من قلبه فينكت فيه نكتة سوداء، نكتة وراء نكتة وفتنة وراء فتنة، حتى يصبح القلب أسوداً مرباداً، أي عَمّهُ السواد فيصبح كالإناء المائل، لا يستقر فيه شيء -لا يمكن وضع شيء فيه-، أي: لا يقبل نصيحة ولا موعظة ولا يؤثر فيه شيء إلا ما وافق هواه، وأما القلب الذي ينكر الشبهات والشهوات والفتن المتولدة عنهما، فهذا يبقى نظيفاً أبيض مثل حجر المرمر الأملس الذي ليس فيه شائبة، فهذا يعرف الحق ويقبله ويرفض الحرام والمنكر وينكره.

وقد أنزل الله سبحانه وتعالى سورة كاملة في القرآن تصف وتعرض أكثر الفتن التي يواجهها المسلم، وهي سورة الكهف، التي فيها كثيراً من القوانين والآيات التي تحمل الحكمة والعبرة والعظة، فقد بدأت السورة: 1 - بأصحاب الكهف، وبينت الخوف من السلطان الجائر وأعوانه الظلمة، وكيف أنهم فَرّوا بدينهم وعقيدتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 18/ 20]، 2 - ومثل الرجلين، بَيَّنَتْ فتنة الغنى وكيف أن الغنى يُطغي ويجعل الإنسان متكبراً متفاخراً متعجرفاً، 3 - قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: 18/ 45]، فلا يغتر أحد بالدنيا ولا بالغنى ولا بالصحة ولا بالشباب ولا بالأولاد، فكل ذلك إلى زوال، ولا يبقى للإنسان إلا ما عمل وما قدم، لذلك أعطاك القاعدة المهمة: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: 18/ 46]، 4 - وقصة موسى عليه السلام والرجل الصالح، تحمل في طياتها معان كثيرة، وهي تمثل ما يلاقيه الإنسان في حياته وما قُدِّر عليه، وقد يكون ذلك في صالحه ومنفعته ولكنه لا يدري، فيجب التسليم والرضا لما يُقَدِّرهُ اللهُ تعالى ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: 18/ 82]،

5 – وقصة ذي القرنين تمثل القوة والسلطان والمنصب، وتعلمنا بأن يستخدم الإنسان قدراته في سبيل الله وفي سبيل الإصلاح، وانتهت السورة بآية بديعة لخصت كل أسباب النجاح والفلاح، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 18/ 110]، فتنة الدين، وفتنة المال، وفتنة العلم، وفتنة الدنيا بما فيها، وفتنة القوة، وفتنة الشيطان، وفتنة الجدل والمماحكة، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا﴾ [الكهف: 18/ 56]، ألا ترى فتنة الجدل والمناقشات والمناظرات كلها بالباطل وكلها لدحض الحق، وكلها لإدخال الشبهات في عقول الناس، في سبيل ماذا؟ في سبيل الشيطان، وفي سبيل المال، وفي سبيل المناصب، والمكاسب الدنيوية.

الفتن في بيوتنا، وفي شاشاتنا، وفي إذاعاتنا، وفي هواتفنا، وفي أسواقنا وشوراعنا، الفتن في جوامعنا ومساجدنا من خطباء السوء، الفتن في مؤسساتنا، الغش والرشوة والمحسوبية، الفتن في مدارسنا وفي تربية أولادنا، وما لنا إلا الله تعالى بأن يحمينا وينقذنا ويثبتنا، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها: الصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر» البخاري (7096).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد المرسلين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين